

دكتور محمود محمد زفزون

وكيل كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

بجامعة قطر

# دَوْرُ الْإِسْلَامِ

في تطور الفكر الفلسفي

يطلب من

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - حابنة

تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

---

جميع الحقوق محفوظة

---

دار البصائر للطباعة  
٢٢ شارع سامي - ميدان الأوبرا  
القاهرة - تليفون ٣٠٥٥٦

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### دور الاسلام في تطور الفكر الفلسفي (١)

الحديث عن دور الاسلام في تطور الفكر لابد من التمهيد له بعرض موقف الاسلام من العقل ، اذ ان هذا الموقف هو الذي يستطيع ان يتيح لنا التعرف على مدى امكانية اسهام الاسلام في تطور الفكر بصفة عامة والفكر الفلسفي بصفة خاصة . وعلى هذا سينقسم بحثنا الى قسمين اولهما عن موقف الاسلام من العقل وثانيهما عن دور الاسلام في تطور الفكر .

#### ● اولا - موقف الاسلام من العقل :

##### ١ - تمهيد :

لم يكن للعرب قبل الاسلام ما يمكن ان يطلق عليه المرء فكرا فلسفيا ، فقد كانت لهم نظرات فلسفية متناثرة فيما خلفوه لنا من نثر وشعر ، ولكنها كانت من فلتات الطبع وخطرات الفكر كما يقول اشهرستاني (٢) ( ٤٧٩ - ٥٤٨ هـ ) فلم يكن لديهم اهتمامهم بالتعليل

---

(١) سبق تقديم هذا البحث الى ندوة الحضارة الاسلامية في بروكسل التي عقدت في الفترة من ٨ الى ١٠ نوفمبر ١٩٨٢م . وقد قررت رئاسة الندوة نشر هذا البحث باللغة الانجليزية في كتاب يتضمن بحوث الندوة المذكورة .

(٢) الملل والنحل ج ٢ ص ٦٠ دار المعرفة بيروت ١٩٨٢ . راجع ايضا طبقات الامم للقاضي ابي القاسم ( مساعد بن احمد ) الذي يقول في معرض كلامه عن علم العرب في الجاهلية ( ص ٤٥ طبعة بيروت ) : « واما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله عز وجل شيئا منه ، ولا هيا طباعهم للعناية به » انظر المزيد من التفصيل عن ذلك في : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق ص ٣١ و ١٠٤ . ( مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦ ) .

أو محاربة التقليد والخرافات أو البحث عن العلاقة بين المقدمات والنتائج فيما كان منتشرًا لديهم من آراء وأقاصيص ، « لقد كانت لديهم معارف فلكية وطبيعية مصه بمعارف الكلدانيين والنسابة ، ومعارف طبية تجريبية مصحوبة بالرقى والعزائم والتمائم ، وأساطير زاخرة بأخبار الجن والسعالى والغيلان والشياطين ، وأمثال وحكم تدل على منازعتهم العقلية ، وشعر فى الرهد تغلب عليه العناصر الخلقية والروحية ، ولكن ذلك كله لا يؤلف مذاهب فلسفية كاملة ، لأن التفكير الفلسفى لم يبدأ عندهم الا بعد ظهور الاسلام » (١) .

مقد بعث الاسلام فيهم حياة جديدة . ونقلهم الى أفق فسيح من العلم والمعرفة فأقاموا صرح دولة عظمى تمتد من أقصى الصين شرقا الى أقصى الأندلس غربا ، وانشأوا حضارة زاهرة كانت من أطول الحضارات عمرا فى التاريخ ، وفى هذا انجو ازدهرت العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها ، وأسهم المسلمون فى الجهود الفلسفية وأصبحت لهم فلسفة تحبل طابعهم وتميزهم عن غيرهم ، ولم يكن ذلك كله يمكن أن يحدث الا اذا كانت تعاليم الاسلام تشتمل على العناصر الأساسية لهذا التحول العظيم .

\*\*\*

## ٢ - الإنسان فى نظر الاسلام :

لقد كان حجر الأساس فى هذا البناء الجديد يتمثل فى نظرة الاسلام الى الإنسان . فالاسلام ينظر الى الإنسان على أنه خليفة الله فى الأرض (٢) . وقد فضله الله على جميع الكائنات وكرمه أعظم

(١) تاريخ الفلسفة العربية للدكتور جميل صليبا ص ١٥/١٦ دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٣ ، راجع أيضا : دروس فى تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية لعبده الشمالى ص ٤/٥ بيروت ١٩٥٦ .  
(٢) محمداقا لقوله تعالى : « انى جاعل فى الأرض خليفة » (البقرة : ٣٠) .

تكريم كما تعبر عن ذلك آيات لقرآن (١) . وهذه الكرامة التي اختص الله بها الانسان ذات أبعاد مختلفة ، فهي حماية انهية للانسان تنطوي على احترام حريته وعقله وفكره وارادته ، وتنطوي أيضا على حقه في الأمن على نفسه وماله وذريته (٢) . وهذه الكرامة تعنى في النهاية الحرية الحقيقية وهي تلك الحرية انواعية المسئولة التي تدرك اهمية تحملها امانة التكليف والمسئولية التي أشار اليها القرآن في قوله « **انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان** » (٣) .

وإذا كان الله قد اختص الانسان بالتكليف والمسئولية فانه من ناحية أخرى قد خلق له هذا الكون بما فيه ليمارس فيه نشاطاته المادية والروحية على السواء . ويشير القرآن الى ذلك في آيات عديدة منها قوله تعالى : « **وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ، ان في ذلك لآيات لقوم ينفكرون** » (٤) .

والتفكر الذي تنص عليه الآية هنا أمر جوهري لا ينبغي ان يغيب عن الأذهان ، فانه إذا كان الله قد سخر للانسان هذا الكون فلا يجوز له أن يقف منه موقف اللامبالاة بل ينبغي عليه أن يتخذ لنفسه منه موقفا ايجابيا . وايجابيته تتمثل في درسه والنظر فيه للاستفادة منه بما يعود على البشرية بالخير . والاستفادة من كل هذه المسخرات في هذا الكون لا تكون الا بالعلم والدراسة والفهم . والنظر في ملكوت السموات والأرض على هذا النحو سيؤدي الى

---

(١) وردت مادة عقل وما اشتق منها في القرآن تسعة وأربعين والبحر ورزقتاهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» ( الاسراء : ٧٠ ) .

(٢) راجع أيضا دراسات اسلامية للدكتور محمد عبد الله دراز دس ٣٣ وما بعدها . دار القلم بالكويت ١٩٨٠ .

(٣) الأحزاب : ٧٢ . (٤) الجاثية : ١٣ .

الرقى المادى ، وفى الوقت نفسه الى الرقى الروحى (١) . يقول القرآن  
« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (٢) .

\*\*\*

### ٣ - العقل ووظيفته :

ولم يبلغ الانسان كل هذا التكريم الذى سما به فوق كل الكائنات  
الا بالعقل الذى اختصه الله به وميزه به على سائر المخلوقات ،  
وقد نوه الاسلام بالعقل والتعويى عليه فى أمور العقيدة والمسئولية  
والتكليف . ولا تاتى الاشارة الى العقل فى القرآن انكريم الا فى مقام  
التعظيم والتنبية الى وجوب العمل به والرجوع اليه وذلك ما يؤخذ  
من كل الآيات القرآنية التى ورنى الاشارة فيها الى العقل (٣) .

(١) راجع مقالنا : « سبيلنا الأوحد للحضارة الحقيقية » المنشور  
بمجلة ( المسلمون ) الدولية بلندن . العدد ٢٣ ( ٢٦ مارس ١٩٨٢ -  
الجمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ ) .  
(٢) فصلت : ٥٣ .

(٣) العقل من حيث مدلوله اللفظى العام ملكة يناط بها الوازع  
الأخلاقى أو المنع عما هو محظور ومنكور . ومن هنا كان اشتقاقه  
من مادة عقل التى يؤخذ منها العقل . وفى ذلك يقول الجاحظ :  
« وانما سمي العقل عقلا لأنه يزم اللسان ويخطمه عن أن يمضى  
فرطاً فى سبيل الجهل والخطأ والمضرة كما يعقل البعير » . وللعقل  
خصائص عديدة : منها أنه ملكة الإدراك التى يناط بها العهم والنصور  
وإدراك الأمور ، ومنها أنه ملكة الحكم فهو يتأمل فيما يدركه ويقببه  
على جميع وجوهه ويحكم عليه . ويتصل بملكة الحكم ملكة الحكمة  
أيضاً ، وذلك اذا انتهت حكمة الحكيم به الى العلم بما يحسن وما يقيح  
وما ينبغى له أن يطلبه وما ينبغى له أن باباه ، ومن خصائص العقل  
أيضاً الرشد وهو تمام النضج : فالعقل الرشيد ينجو به الرشاد  
من الوقوع فى مهاوى النقص والاختلال . راجع : التفكير فريضة  
اسلامية للاستاذ عباس العقاد ص ٨ وما بعدها ، دار الكتاب  
العربى - بيروت ١٩٦٩ ، وتجديد الفكر العربى للدكتور زكى نجيب  
محمود ص ٣١٠ ، دار الشروق بيروت ١٩٧١ .

ولم يكن من قبيل المصادمة أن تكون الإشارة الى العقل في القرآن في صيغ عديدة ، فتارة بلفظ القلب أو الفؤاد ، وتارة في صيغة انفعال بلفظ المفرد أو بلفظ الجمع مثل : يعقلون — يفقهون — يتفكرون — ينظرون — يبصرون — يعتبرون — يتدبرون — يعلمون — يتذكرون ، وتارة ثالثة في صيغة أولى الألباب أو أولى الأبصار أو أولى انهي . فقد أراد القرآن أن يعبر بذلك عن الوظائف العقلية التي أراد الله للعقل الانساني أن يمارسها في هذا الوجود (١) .

والاسلام عندها يخاطب العقل فانه يخاطبه بكل ملكاته وخصائصه . . فهو يخاطب العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأمور ويوازن بين الأضداد ويتأمل ويعتبر ويتعظ ويتدبر ويحسن التدبر والروية (٢) .

وقد وعى رجال الفكر الاسلامي القيمة الكبرى التي يسبغها الاسلام على العقل فقال عنه حجة الاسلام الغزالي ( ٤٥٠ — ٥٠٥ هـ ) ان العقل « أمودج من نور الله » (٣) وقال عنه الجاحظ ( توفي عام ٢٥٥ هـ ) : أنه وكيل الله عند الانسان (٤) .

واذا كانت وظيفة العقل على هذا النحو فان محاولة تعطيله عن أداء هذه الوظيفة يعد تعطيلاً للحكمة التي ارادها الله من خلق العقل ، مثلما يعطل الانسان حاسة من الحواس التي انعم الله بها عليه عن أداء وظيفتها التي خلقت من أجلها . وهؤلاء الذين يفعلون ذلك يصفهم القرآن بأنهم أحط درجة من الحيوان حيث يقول : **« لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان**

(١) وردت مادة عقل وما اشتق منها في القرآن تسعة وأربعين مرة ، وردت مادة فقه وما اشتق منها عشرين مرة ، ومادة فكر وما اشتق منها ثمانى عشرة مرة ، وورد تعبير أولى الألباب ست عشرة مرة . هذا بالإضافة الى عشرات المرات التي وردت فيها بقية الألفاظ التي تعبر عن وظائف العقل المختلفة .

(٢) التفكير فريضة اسلامية ص ٢٠ .

(٣) مشكاة الأنوار للإمام الغزالي ص ٤٤ . القاهرة ١٩٦٤ .

(٤) نقلاً عن : تجديد الفكر العربي ص ٢١٠ .

لا يسمعون بها ، أولئك كالإنعام بل هم اضل » (١) . ومن هذا المنطلق يعتبر الاسلام عدم استخدام العقل خطيئة من الخطايا . يقول القرآن حكاية عن الكفار يوم القيامة « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم » (٢) .

ولهذا كانت دعوة القرآن للإنسان لاستخدام ملكاته الفكرية دعوة دريحة لا تقبل التأويل . وهكذا يجعل الاسلام التفكير واجبا مقرا وفريضة اسلامية . ومن هنا قرر ابن رشد ( ت ٥٩٥ هـ ) أن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها ، وذلك اخذا من آيات القرآن العديدة في هذا الشأن (٣) .

وإذا كانت ممارسة الوظائف العقلية تعد واجبا دينيا في الاسلام فانها من ناحية أخرى مسئولية حتمية لا يستطيع الإنسان الفكك منها ، وسيحاسب على مدى حسن أو اساءة استخدامه لها مثلما يسئل عن استخدامه لباقي وسائل الإدراك الحسية وفي ذلك يقول القرآن « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (٤) .

\*\*\*

#### ٤ — تمهيد الطريق أمام العقل :

ومن منطلق حرص الاسلام على ممارسة العقل لوظائفه التي أرادها الله كان حرص الاسلام شديدا على ازالة كافة العوائق التي تعوق العقل عن ممارسة نشاطاته .

(١) الأعراف : ١٧٩ . (٢) الملك : ١٠ ، ١١ .

(٣) فصل المقال لابن رشد ص ١٠ ( مطبوع مع الكشف عن مناهج الأدلة تحت عنوان فلسفة ابن رشد — المكتبة المحمودية التجارية بالأزهر ١٩٦٨ ) .  
(٤) الاسراء : ٣٦ .

ولهذا طالب الاسلام بتحطيم هذه العوائق ليشق العقل طريقه  
للفهم الصحيح والتفكير السليم ويتجلى لنا ذلك واضحا من النقاط  
التالية :

( ١ ) رفض التبعية الفكرية والتقليد الأعمى . فالاسلام عندما امرنا  
بالنظر واستعمال العقل فيما بين أيدينا من ظواهر الكون نهانا  
في الوقت نفسه عن التقليد الذي فيه تعطيل للعقل عن أداء  
دوره في الوجود . فالتقليد ضلال يعذر فيه الحيوان ، ولا يصح  
بحال من الأحوال من الانسان القادر على التفكير والتمييز .  
ولهذا عاب القرآن على المشركين نقليدهم الأعمى لأعرافهم  
وتقاليدهم واسلافهم مستنكرا مثل هذا التقليد . وفي ذلك يحكى  
عنهم قولهم « **حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا** » ويتساءل في  
استنكار : « **أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** » (١) .  
وقد حذر النبي ﷺ أيضا من التقليد الأعمى قائلا : « لا تكونوا  
امعة » (٢) بمعنى لا تكونوا مقلدين للآخرين تقليدا أعمى .

( ب ) القضاء على الدجل والشعوذة والاعتقاد في الخرافات والأوهام  
وابطال الكهانة . فلا كهانة في الاسلام وليس هناك مخلوق يتحكم  
باسم الدين في رقاب العباد ، فلا ضرر ولا نفع الا بإرادة الله  
الذي يقول لنا في القرآن انه اقرب الينا من حبل الوريد . وأنه  
قريب يجب دعوة من يدعو . والرسول ﷺ يقول  
« اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » (٣) .

(١) المائدة : ١٠٤ .

(٢) رواه الترمذى ونصه : « لا تكونوا امعة : تقولون ان  
احسن الناس احسنا ، وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا انفسكم ان  
احسن الناس ان تحسنوا وان أساعوا فلا تظلموا » .  
(٣) رواه الترمذى والامام احمد .

وعقائد الاسلام واضحة ليس فيها ما يتعارض مع مقررات العقل  
 السليم . وقد وقف الرسول بحزم في وجه الخرافات والأوهام .  
 وعندما مات ابنه ابراهيم تصادف ان كسفت الشمس في ذلك  
 اليوم فقال البعض ان كسوف الشمس هو مشاركة في الحزن  
 على موت ابراهيم . وقد واجه النبي ذلك بحسم قاطع قائلا :  
 « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسان لموت أحد  
 ولا لحياة أحد » (١) .

( ج ) تركيز الاسلام على المسؤولية الفردية . فكل فرد مسئول عن  
 أعماله مسئولية تامة ، وليس هناك خطيئة موروثية ، وآيات  
 القرآن في هذا الشأن واضحة صريحة . وهذه المسؤولية  
 الفردية لا تقوم الا على أساس حرير الفرد واطمئنانه الى  
 حقوقه في الأمن على نفسه وعقله وماله . وقد جعل الاسلام  
 الأمن على العقل من بين المقاصد الضرورية الأساسية التي  
 قصدت انبياء الشريعة الاسلامية لقيام مصالح الدين والدنيا .  
 وهذه المقاصد الضرورية هي حفظ الدين والنفس والعقل  
 والنسل والمال (٢) .

( د ) حرر الاسلام الفرد المؤمن بعقيدة التوحيد من الخوف المهيمن  
 من السلطة الدنيوية ورفعته الى مقام العزة التي يقول القرآن  
 فيها « **وننه العزة ولرسوله وللمؤمنين** » (٣) ، ويقول الرسول  
 أيضا « **اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس** » (٤) ، كما قرر الاسلام

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) انظر الموافقات للشاطبي ج ٢ ص ١٠ . دار المعرفة —

بيروت .

(٣) المنافقون : ٨ .

(٤) رواه تمام في فوائده وابن عساکر في تاريخه . والحديث

معناه صحيح وان نكلم علماء الحديث في سنده .

الإطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وان المؤمن لا يخشى في  
الحق لومة لائم .

وهكذا كفل الإسلام للإنسان المناخ الحقيقي الذي يستطيع فيه  
أن يفكر ويتأمل ويعى ويفهم . وبهذا أطلق الإسلام سلطان العقل  
من كل ما كان يقيد ، وخلصه من كل تقليد كان يستعبده ، وبهذا  
تم للإنسان بمقتضى دينه أمران عظيمان طالما حرم منهما وهما استقلال  
الإرادة واستقلال الرأي والفكر (١) . وقد كان لهذا الموقف الأساسى  
للإسلام من العقل أثره العظيم فى صياغة الحضارة الإسلامية والعقلية  
الإسلامية .

وبعد هذا التمهيد الضرورى عن موقف الإسلام من العقل يحق  
لنا الآن أن ننتقل الى الحديث عن دور الإسلام فى تطور الفكر بصفة  
عامة والفكر الفلسفى بصفة خاصة .

\*\*\*

### • ثانياً - دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى :

وهذا الموضوع نريد أن نتناوله من ناحيتين : أولهما تتمثل فى  
الإشارة الى بعض الأفكار الهامة التى اشتملت عليها تعاليم الإسلام  
وكان لها أثرها ولا يزال فى تطور الفكر ، وثانيهما تتمثل فى الإشارة  
الى انتقال الفكر الإسلامى الى أوروبا ومدى ما قام به هذا الفكر من  
تنشيط ودعم للنهضة الفكرية والحضارية فى الغرب .

#### ١ - الجانب الفكرى :

##### (١) نظرة عامة :

لقد اتضح لنا مما تقدم أن الإسلام قد قام بتوفير كافة الشروط

---

(١) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ١٢٣ ( دار احياء  
العلوم بيروت ١٩٧٩ ) .

الضرورية لقيام حركة فكرية في اوساط المسلمين . وقد قامت هذه الحركة الفكرية بالفعل ، وازدهرت في كافة بلاد المسلمين وانتشرت بينهم كل ألوان الثقافات ، وتفاعل الفكر الاسلامي مع هذه الثقافات المختلفة ، ولم يرفض المسلمون ثقافة من الثقافات لمجرد الرفض ، وانما ساروا في ذلك على مبدأ قرآني يقول : « فاما الزيد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » (١) وهذا يعني قتل كل ما هو ايجابي نافع ورفض كل ما هو سلبي لا خير فيه . وقد كانت كلمات الرسول عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » (٢) وقوله « الحكمة ضاللة المؤمن » (٣) اى هي ذلك الشيء الذي ينسده المؤمن فاذا وجدها في اى مكان اخذها - كانت هذه الكلمات نبراسا يضيء للعقول طريقها نحو العلم والمعرفة بلا حدود .

وقد رفع القرآن من شأن العلم والعلماء في آيات صريحة واشادات اول كلمات نزلت من السماء على محمد ﷺ بالعلم ، واعتبر القرآن العلماء الخشى الناس لله لأنهم الذين يدركون أسرار الله في خلقه ويعون روعة الكون وجمال الخلق وجلال الخالق . وجعل الاسلام مداد العلماء كدماء الشهداء .

ولم تكن الأسس التي وضعها الاسلام لتطوير الفكر والنهوض به مجرد أسس نظرية وانما كانت خطوات عملية أثمرت ثمارها في المجتمع الاسلامي ، فكانت دولة الاسلام أرحب الدول صدرا

(١) الرعد : ١٧ .

(٢) رواه ابن ماجه بنظر ( طلب العلم فريضة على كل مسلم » ومن الواضح أن لفظ المسلم هنا يعنى الفرد المسلم رجلا كان أو امرأة .

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه .

واسمها فكرا مع الفلسفة والفلاسفة ، ومن أصيب من الفلاسفة المسلمين يوما بمكروه فانما كان ذلك من كيد السياسة ، ولم يكن من حرج بالفلسفة أو حجر على الأفكار . فالاسلام بتعاليمه يستطيع أن يواجه أية ثقافة فكرية انسانية دون أن يخشى عليه طالما وجد من المنتسبين اليه من يستطيع فهمه في أصوله وغايته (١) . ولم يحدث أن وقف الدين الاسلامى عقبة في سبيل البحث في العلوم الطبيعية على النحو الذى شهدته أوروبا في العصور الوسطى ، بل كان الاسلام دائما وراء كل انجاز حققه العلماء المسلمون في هذا المجال .

وبالإضافة الى ما تقدم نجد في القرآن شواهد لا حصر لها يتجلى لنا منها اطلاق القرآن للطاقت الفكرية اطلاقا لا حد له . ومن بين هذه الشواهد ما يلي (٢) :

**أولا :** يعرض القرآن بكل أمانة ودقة آراء المخالفين ثم يتبعها بالرد الحاسم القائم على المنطق السليم وقوانين الفطرة السليمة . فقد ذكر وجهات نظر الوثنيين والدهريين والماديين والكفار والمنافقين ، وعقب عليها تعقيا مقنعا مستخدما في ذلك اندمع البراهين وأقوى الأدلة . فالكفار مثلا حين ينكرون البعث بعد الموت ويقولون : « ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » يعقب القرآن على ذلك بقوله : « وما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يظنون » (٣) وهنا

---

(١) راجع : التفكير فريضة اسلامية ص ٥٩ ، ٦٠ والفكر الاسلامى في تطوره للدكتور محمد البهى ص ١٠ مكتبة وهبة بالقاهرة

١٩٨١

(٢) انظر : تأملات في الفكر الاسلامى للدكتور محمد كمال جعفر ص ٨٧ وما بعدها - مكتبة دار العلوم بالقاهرة ١٩٨٠ م .  
(٣) الجاثية : ٢٤ .

يفرق القرآن بين الظن والعلم ، موجهنا نظرننا الى ضرورة  
فحص الأحكام والتأكد من مصدرها وفي ذلك ما فيه من الدعوة  
الى النقد الموضوعى .

ويحذر القرآن من اصدار الأحكام فى أمور لا علم للانسان بها  
حتى لا يقع فى الخطأ والنباتض . فيقول : « ولا تقف ما ليس لك به  
علم » (١) . وعندما زعم لكفار أن الملائكة انك عقب القرآن على  
زعمهم بقوله : « أشهدوا خلقهم ، ستكتب شهادتهم ويسئلون » (٢) .  
وهنا يريد القرآن أن يقول لهم : ان هذه الفكرة التى تزعمونها اذا  
كانت صحيحة فانها لابد أن تكون مبنية على الملاحظة والمشاهدة  
اللتان هما وسيلتان من وسائل العلم والمعرفة الصحيحة .

**ثانيا : يعرض علينا القرآن قصة ابراهيم عليه السلام مع قومه  
والنقاش العقلى الذى دار بينه وبينهم حول الألوهية ،  
وما اشتمل عليه هذا النقاش من دلة عقلية فى صورة متدرجة  
فى تسلسل منطقى رائع . تحمل العقل على محاكاتها للوصول  
الى نفس نتائجها وهى الوصول الى اليقين الذى تشير  
اليه الآية فى نهاية القصة « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت  
السموات والأرض وليكون من الموقنين » (٣) .**

وقد ازدانت الحضارة الاسلامية بأعلام من المع المفكرين فى  
المجال الفلسفى من أمثال الكندى والفارابى وابن سينا والغزالى  
وابن باجه وابن طفيل وابن رشد . وقد شهد القرن التاسع والعاشر  
الميلاديين حركة عقلية نشيطة دائبة لدى المسلمين .

(١) الاسراء : ٣٦ .

(٢) الزخرف : ١٩ .

(٣) الأنعام : ٧٥ .

وإذا كان المسلمون قد نقلوا الفلسفة اليونانية الى العربية فانهم قد برهنوا على قدرتهم على هضمها والاضافة اليها وتقد ما فيها من قصور ، مدركين أن الفكر الفلسفي فكر متطور وليس فكرا جامدا . فالبناء الفلسفي كما يقول أبو بكر الرازي ( ٨٦٤ — ٩٢٥ م ) بناء تشترك فيه الأجيال ، ويضيف اليه كل جيل شيئا جديدا (١) ، يمهّد به السبيل لمن يجيء بعده . فالكلمة الأخيرة في الفلسفة لم يقلها جيل بعينه والا أصيب الفكر بالجهود وحكم عليه بالعقم الأبدى .

وقد برع العقل الاسلامي في ميادين اخرى كثيرة . ويمكننا أن نشير في هذا الصدد الى ابتكار المسلمين علم الجبر من عدم . وما يزال هذا العلم يحمل اسمه العربي في لغات الغرب ، وأضاف المسلمون الى الأعداد المعروفة في الغرب بالأعداد العربية — أضافوا اليها الصفر الذي أحدث ثورة حقيقية في علم الحساب ، وكان أحد علماء المسلمين في الرياضة وهو الخوارزمي ( توفي حوالي ٨٤٧ م ) هو الذي ابتدع اللوغاريتم (٢) .

(١) ونص عبارة الرازي في ذلك كما ورد في رسائله الفلسفية : « اعلم أن كل متأخر من الفلاسفة اذا صرف همه الى النظر في الفلسفة وواظب على ذلك واجتهد فيه وبحث عن الذي اختلفوا فيه لدقته وصعوبته علم علم من تقدمه منهم وحفظه واستدرك بفتنته وكثرة بحثه ونظره أشياء أخرى ، لأنه مهر بعلم من تقدمه وفتن لفوائد أخرى واستفضلها اذ كان البحث والنظر والاجتهاد يوجب الزيادة والفضل » . انظر مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي للدكتور فرانتز روزنتال ص ١٨٥ ترجمة انيس فريجه — دار الثقافة بيروت ١٩٨٠ .

(٢) راجع هموم المثقفين للدكتور زكي نجيب محمود ٩٠/٩١ — دار الشروق — القاهرة — بيروت .

ولسنا هنا في مجال حصر ابداع العقل الاسلامى في دنيا العلوم على اختلاف انواعها ، فهذا مجال يطول فيه الحصر . ولسنا هنا ايضا في معرض التنفى بالأمجاد أو اجترار الذكريات الجميلة ، ولكننا نقرر فقط بعض النواقع الذى كان اثرا من آثار التعاليم الاسلامية التى هيأت لعقل الاسلامى هذه الانطلاقة الفذة التى انتقلت بعد ذلك الى أوروبا عن طريق الترجمات المختفة التى بدأت في بواكير القرن الثانى عشر فأحدثت فيها يقظة جديدة شهد بها المؤرخون الأوروبيون المنصفون .

ونريد الآن أن نبرز بعض الأفكار الهامة التى قدمها الاسلام وكات ذات أثر حاسم في التطور الفكرى والحضارى . وسنكفى في هذا الصدد بثلاثة أمثلة وهى : مبدأ الاجتهاد أو الاستقلال العقلى . وفكرة التوفيق أو الوسطية ، واخيرا النظرة الاسلامية للتاريخ . وفيما يلى نلقى بعض الصوء على هذه الأفكار .



### ( ب ) مبدأ الاجتهاد :

لقد أكد الاسلام على فكرتى التوحيد وختم النبوة ، ويعنى ذلك رفع الوصاية عن العقل . فعلى العقل اذن بعد أن انتهت النبوة وانقطع الوحي السماوى أن يعتمد على نفسه في كل ما لم يرد فيه نص دينى ، وعلى العقل أن يثق في قدراته . وقد كانت مناشدة القرآن للعقل وللتجربة على الدوام واحراراه على أن النظر في الكون والوقوف على أخبار الأولين مصدر من مصادر المعرفة الانسانية — كانت كلها صورا مختلفة بفكرة انتهاء النبوة .

ومن هذا المنطلق كانت هناك خطوات عملية هامة قام بها الاسلام للمساعدة على تطوير الفكر وتحريكه لاستمرار التقدم وتطوير الحياة .

ومن بين هذه الخطوات كان مبدأ الاجتهاد ، اى الاعتماد على الفكر فى استنباط الأحكام الشرعية . وقد كان ذلك بداية النظر العقلى عند المسلمين . وقد نما هذا الاجتهاد فى رعاية القرآن . ويعتبر الاجتهاد مبدأ الحركة أو الديناميكية فى بناء الاسلام كما يقول « اقبال » (١) (توفى عام ١٩٣٨) .

لقد امتدت ساحة الاسلام الى افساح المجال أمام العقل فى مجال الأحكام الشرعية التى لم ترد فيها نصوص ، فأباح له الاعتماد على نفسه وشجعه على ذلك ودفعه إليه دفعا . وتقررت فى ذلك قاعدة اسلامية تقول : ان المجتهد اذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد وإذا اجتهد فأصاب فله أجران . وقد روى عن معاذ بن جبل أن انبى ﷺ لما بعثه واليا الى اليمن قال له : كيف تقضى اذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بكتاب الله . قال : فان لم تجد فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ﷺ ، قال فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : اجتهد رايى . فوافقه النبى ﷺ على ذلك ومدحه على حسن ادراكه وفهمه (٢) .

وقد كان لمبدأ الاجتهاد أثره العظيم فى اثناء الدراسات الفقهية لدى المسلمين وايجاد الحلول السريعة للمسائل التى لم يكن لها نظير فى العهد الاوول للاسلام . وقد نشأت عه مذاهب افقه الاسلامى الأربعة المشهورة التى لا يزال العانم الاسلامى يسير على بعاليماها حتى اليوم ، وادى الاجتهاد أيضا الى ظهور علم فلسفى هو علم اصول افقه الذى يعد بمثابة فلسفة للتشريع الاسلامى . وكان

---

(١) انظر تجديد التفكير الدينى فى الاسلام للدكتور محمد اقبال ترجمة عباس محمود من ١٤٤ ، ١٦٨ ، ١٧٠ . القاهرة ١٩٦٨ .  
(٢) رجع جامع بيان العلم وفضله لأبى عمر يوسف بن عبد البر ج ٢ من ٦٩ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) .

أول من ابتكر هذا العلم هو الإمام الشافعي ، وذلك قبل أن يتأثر الفكر الإسلامي بالفلسفة اليونانية (١) .

وهكذا كان ركن المسلم الى عقله فيما يشكل عليه مما لم يرد في شأنه نسوج در دعامة الأريلى فى الوقفة لعقلية عند الإسلام . تلك الوقفة التى أقام عايرها حضارته وثقافته على امتداد تاريخه خلال القرون التى شهدت قوته ودرته على الابداع (٢) .



### ( ج ) فكرة التوفيق أو الوسطية :

أما الفكرة الثانية وهى فكرة الرفق أو الوسطية فنراها تسود تعاليم الإسلام ، فالإنسان جسم وروح ، ولا يريد الإسلام أن يغلب أحدهما على الآخر بطريقته بل بالدوازن بينهما ، وإنما يحرص على التوفيق بين مطالب 'جسم ومطالب الروح فى تناسق رائع . فالإنسان له أن يتمتع بكل الخيرات التى أحلها الله له فى هذه الحياة . وفى الوقت نفسه لا ينبغى له أن يهمل مطالب روحه ، يقول القرآن : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا** » (٣) ويقول الرسول ﷺ « **اعمل لدينك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا** » (٤) .

- 
- (١) انظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق ص ١٢٣ — مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٦ .  
(٢) هموم المثقفين ص ١٠١ . (٣) القصص : ٧٧ .  
(٤) على الرغم من أن علماء الحديث قد تكلموا فى سند هذا الحديث فان معناه صحيح . وقد روه ابن قتيبة فى غريب الحديث موقوفا عن عبد الله بن عمر ، ورواه ابن المبارك فى الزهد من طريق آخر موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص ، ورواه البيهقى مرفوعا عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ .

وقد سمع النبي ﷺ ثلاثة من أصحابه يتحدثون عن عبادتهم ووجد أنهم يبالفون في العبادة الى حد اهمال مطالب الجسد اهمالا يكاد يكون تاما . فقد قال احدهم انه يقضى ليله دائما في الصلاة ، وقال الآخر انه يصوم بصفة مستمرة ، وقال الثالث انه يعتزل النساء ولا يتزوج ابدا . فلم يوافقهم النبي على ذلك وبين لهم انه اخشاهم لله واتقاهم له ومع ذلك فهو يصوم ويفطر ، ويصلى ويرقد ، ويتزوج النساء ، وان هذه هي سننه لتي ينبغى السير على نهجها وان من ابتعد عن هذا الخط الواضح كان بعيدا عن انبى وتعاليمه (١) .

وهذه الفكرة التي رأيناها تسود العلاقة بين الجسم والروح وهى فكرة التوفيق أو الوسطية نجد لها نظيرا في العلاقة بين العقل والدين . فالاسلام يحرص أشد الحرص على ألا يكون هناك نزاع أو تناقض بين العقل والدين ، فكلاهما من مصدر واحد ، قد خلقهما الله لهداية الانسان وارشاده ، وكلاهما اثر من آثار الكامل وهو الله ، وآثار الكامل لا يناقض بعضها بعضا .

ولا يجوز من وجهة النظر الاسلامية وضع المسألة على اساس أن هناك خصومة بين الدين والعقل ، وأن الانسان فى موقف الاختيار بينهما . فهما عنصران جوهريان ينلازمان ولا يتناقضان ، والانسان فى حاجة اليهما معا . والدين الصحيح لا يمنع العقل البشرى من التفلسف ومن حقه فى الفهم والتفكير فى ملكوت السموات والأرض ، وانما يدفعه الى ذلك دفعا . والاسلام يعتبر العقل مناط انسانية الانسان وجوهرها ، فاذا عطل بالجهل والغفلة والعمى مسخت بشرية الانسان وهبط بذلك الى مرتبة الحيوان .

---

(١) انظر نص هذا الحديث فى صحيح البخارى مرويا عن انس ابن مالك ( كتاب النكاح ) ..

وهكذا حسم الإسلام الخصومة المصطنعة بين الدين والعقل ،  
وحرر الانسان من أزمة الصدم بين الدين والعلم . ولهذا فليس  
الإسلام في حاجة الى العلمانية (Secularization) لأن الأسباب  
التي أدت الى العلمانية في أوروبا لا مكن لها في الإسلام ، وانزعم  
الشائع في تاريخ الفكر الإنساني بأن هناك صراعا مستمرا وناقضا  
أبديا بين الدين ولعقل أو بين الدين ولعلم لا يطرق بحال من لأحوال  
على الدين الإسلامي ، فكلاهما — الدين والعقل — يشكلان في  
الإسلام وحدة واحدة .

وقد كان لفكرة التوفيق وروح الاعتدال التي تنطوي عليها  
تعاليم الإسلام أثرها العظيم في سريان هذه الروح وانتشار هذه  
الفكرة في الحضارة الإسلامية حصة عامة والثقافة انفسية بصفة  
خاصة . ولهذا رأينا الفلاسفة المسلمين يتجهون في مسفتهم  
الى تأكيد التوفيق بين الدين والفلسفة ، وبيان توافق لمصدرين :  
مصدر الدين ومصدر الفلسفة — في المعرفة وانوصول الى حقيقة .  
وقد اتخذ التوفيق لديهم صورا عديدة .

فقد ذكر ابن مسكويه ( ت ٤٢١ هـ — ١٠٣٠ م ) على النفاية .  
ولهذا اهم بالتوفيق بين غاية كل من الأخلاق — وهي فرع من  
فروع الفلسفة — ولدين من حيث أن كلا منهما يهدف الى سعادة  
الانسان (١) . وكذلك اهتم ابن حزم ( ت ٤٥٦ هـ — ١٠٦٣ م )  
بالمعنى العمى لكل من الفلسفة والدين وذهب الى أن غرضهما هو  
أصلاح النفس وأنه لا خلاف بين الفلسفة ولشريعة في ذلك (٢) .

(١) انظر فلسفة الأخلاق في الإسلام للدكتور محمد يوسف موسى  
ص ٩٦ . القاهرة ١٩٦٣ .

(٢) انظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٧٧ .

أما الكندي (ت ٢٥٢ هـ - ٨٦٥ م) الذي عرف الفلسفة بأنها علم الأشياء بحقائقها فانه يرى أنها لا يمكن أن تتناقض اطلاقاً مع الدين ، فغابتهما واحدة (١) . ويقرر الكندي صراحة توافق العقل واسقل ، او الفلسفة والدين . وفي هذا الصدد يقول في رساله الى المعتدم - وهي الرسالة التي تدور حول علم الأشياء بحقائقها ، اى حول الفلسفة - :

« علم الربوبية وعلم الوجدانية وعلم الفضيلة ، وجملة علم كل نافع والسبيل اليه ، واجحد عن كل ضار والاحتراس منه ، واقتناء هذه جميعا هو الذي أتت به الرسل الصادقة عن الله جل ثناؤه ، فان الرسل الصادقة صلوات الله عليها انها أتت بالاقرار بربوبية الله وحده ، ويلزوم الفضائل المرتضاة عنده ، وترك الرذائل المضادة لفضائل في ذواتها وآثارها » (٢) .

ويرى الفارابي (ت ٣٣٩ هـ - ٩٥٠ م) أن موضوعات الدين وموضوعات الفلسفة واحدة ( فكلهما يعطى المبادئ القصوى للموجودات . فانهما يعطيان علم المبدأ الأول والسبب الأول للموجودات ، ويعطيان الغاية القصوى الى لأجلها كون الانسان وهي السعادة القصوى ) . والفلسفة الصحيحة لا تتناقض مع الدين الصحيح ، فان بدا هناك بعض النفور أو التناقض بين الطرفين فما ذلك الا لأن النظام الفلسفي الذي تناقض مع الدين يعتبر نظاما واهيا لم تكتمل

---

(١) انظر المزيد من التفصيل في ذلك للدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده في كتابه : الكندي وفلسفته ص ٥٣ وما بعدها ( دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٥٠ ) .

(٢) رسائل الكندي الفلسفية ج ١ ص ١٠٤ ( نقلا عن : تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام للدكتور محمد علي أبو ريان ص ٣٤٣ - الاسكندرية ١٩٨٣ ) .

فيه الدراهم المؤدية الى اليقين ، فالحقيقة واحدة لدى الفارابى  
ولكن الطريق اليها متعدد (١) .

ويرى ابن سينا ( ت ٤٢٨ هـ — ١٠٣٦ م ) أنه لا يوجد فى اقسام  
الحكمة ( أى الفلسفة ) ما يخالف الدين و يتعارض معه . ويرجع  
ضلال ادعياء الفلسفة عن منهاج الشرع الى قصور فى تفكيرهم  
وعجز فى فهمهم . وفى ذلك يقول : لقد « ظهر أنه ليس شىء منها  
( أى الفلسفة ) يشتمل على ما يخالف الشرع ، فان الذين  
يدعونها ثم يزيغون عن منهاج الشرع انما يضلون من تلقاء أنفسهم  
ومن عجزهم ونقصيرهم لا أن الصناعة نفسها توجبه ، فانها بريئة  
منهم » (٢) .

وقد بين طفيل ( ت ٥٨١ هـ — ١١٨٥ م ) فى قصته الفلسفية  
المشهوره ( حى بن يقظان ) كيف يستطيع الانسان عن طريق عقله  
ودون معونة من خارج أن يتوصل الى معرفة العالم العلوى ويهتدى  
الى معرفة الله وخلود النفس ، وأن ما يتوصل اليه من معارف  
لا يتناقض مع مقررات الدين (٣) .

أما ابن رشد فقد تناول بالمقارنة العامة الخطوط الأساسية لكل  
من الدين والفلسفة رغم اختلاف منهجيهما ، وبين فى كتابه ( فصل  
المقال ) اتفاق الدين والفلسفة قائلا : « ان الحق لا يضاد الحق  
بل يوافقه وبشهادته » ، وقال أيضا « ان الحكمة ( أى الفلسفة )

- 
- (١) انظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٧٨ . وتأملات  
فى الفكر الاسلامى ص ٣٠٤ وما بعدها .  
(٢) نقلا عن تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٦١ .  
(٣) انظر تاريخ الفلسفة فى الاسلام لديبور وترجمة الدكتور  
أبو ريده ص ٢٧٧ ( القاهرة ١٩٥٧ ) .

هى صاحبة الشريعة والأخت الرضية وهما المصطحبتان بالطبع  
المتحابتان بالجواهر والفريزة « (١) .

أما الامام الغزالي ( ت ٥٠٥ هـ - ١١١١ م ) فقد حرص على  
ضرورة الحفاظ على وحدة العقل والدين وان كان لم يذكر الفلسفة  
في هذا الصدد باللفظ . فالانسان كما يقول - لا يستطيع ان يستغنى  
عن الدين او العقل . فالعقل كالأساس والدين كالبناء ولا يمكن  
تدوير أحدهما بدون الآخر . فلا نفع في أساس بدون بناء ، ولا ثبات  
لبناء بدون أساس . ولذلك يرى الغزالي أنهما متحدان اتحادا لا يمكن  
فصله ، ومن يجرؤ على تعطيل أى منهما فهو - في رأى الغزالي -  
أما جاهل أو مغرور .

وإذا لم يكن هناك تناقض بين العقل والدين فانه ليس هناك  
أيضا - كما يقول - تناقض بين العلوم العقلية والعلوم الدينية ،  
وعدم القدرة على الربط بينهما يرجع في رأيه الى عمى في البصرة  
يحجب الرؤية الصحيحة (٢) .

فإذا انتقلنا من عصر تلك النخبة الشهيرة من فلاسفة المسلمين  
واتجهنا الى العصر الحديث نجد الامام محمد عبده ( ١٨٤٩ - ١٩٠٥ )  
يقول في علاقة الدين بالعقل في الاسلام : « لقد تأخى العقل والدين  
لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل  
التأويل » وتقرر بين المسلمين كافة - الا من لا ثقة بدينه ولا بعقله -  
ان من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به الا من طريق العقل كالعلم

(١) راجع فصل المقال لابن رشد ص ١٥ ، ٣٦/٣٥ .

(٢) راجع معارج القدسى للغزالي ص ٤٦ ( المكتبة التجارية

الكبرى - بدون تاريخ ) ، واحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٦ ، ١٧ .  
( طبع مصطفى البابى الحلبي بالقاهرة ١٩٣٩ ) .

بوجود الله وأرسال الرسل وإدراك محوى الرسالة والتصديق بها ، كما أجمعوا على أن الدين إذا أتى بشيء يعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل . فالعقل من أشد أعوان الدين الإسلامى (١) .

ومن كل ذلك يتضح لنا ان وحدة الدين والعقل هى الخط الواضح للإسلام . والذي يدرس تاريخ العلوم الإسلامية وتطورها يرى ان روح التوفيق بصفة عامة كانت طابعا عاما للمسلمين فى كل العلوم النظرية تقريبا . منحنا نجدها فى علم العقيدة وفى الفقه والشريعة وفى التصوف وفى الفلسفة (٢) . وكان الهدف الأكبر لفلاسفة العرب هو أن يقدموا للعالم نظرية كاملة عن وحدة الكون ترضى الدين والعقل معا ، ولذلك سعوا الى التوفيق بين الجانب الخفى والروحى والجانب الفلسفى من العلم (٣) .

ويبرز بعض الباحثين المسلمين المعاصرين أهمية الدور الكبير للإسلام فى تطور الفكر الإنسانى بصفة عامة . ويتمثل ذلك فيما قامت به الثقافة الإسلامية من دمج عظيم للعناصر الإيجابية فى حضارتين متجاورتين ومتنافرتين وهما حضارة الفرس وثقافتهم من جهة وحضارة الروم وثقافتهم من جهة أخرى . فقد كانت الأولى ذات صبغة صوفية والثانية ذات صبغة عقلية . وبظهور الإسلام

---

(١) رسالة التوحيد ص ٥٥ ، ٥٢ .

(٢) انظر تعليق الدكتور محمد يوسف موسى فى ص ١٩٧/١٩٨ من ترجمته لكتاب جونيه : المدخل لدراسة افلسفة الإسلامية . القاهرة ١٩٤٥ .

(٣) انظر روح الإسلام من تأليف سيد أمير على وترجمة أمين محمود الشريف ص ٣١٥ ( من سلسلة الألف كتاب . القاهرة ١٩٦١ ) .

وفتوحاته انهدمت الفواصل بين هاتين الثقافتين ، فأخرج الإسلام الى العالم صيغة حضارية ثقافية اسلامية جديدة تسع الانسان أينما كان ، في اتجاه نحو عالية الثقافة . ويرجع ذلك الى أن مبادئ العقيدة الاسلامية تشتمل على ما يهيئ الانسان لاستخدام المنطق العقلى فى شئون فكره ومعاشه ، كما تشتمل كذلك على ما يعده لالتدامل بالله مباشرة مما لا يحتاج الى تدليلات المنطق العقلى . وهكذا التقى الشرق والغرب فى بوتقة واحدة . فقد جمعت الصيغة الجديدة بين ادراك الحدس الصوفى وادرك العقل الاستدلالي بحيث احتملت الحياة الثقافية فى الجماعة الاسلامية أن يظهر فيها أعظم المتصوفة وأعظم مناطق العقل فى آن واحد (١) .

\*\*\*

وبعد هذا العرض لفكرة التوفيق ننتقل الآن الى الاشارة باختصار الى الفكرة الثالثة المتمثلة فى نظرة الاسلام الى التاريخ .

#### ( د ) نظرة الإسلام الى التاريخ :

يشر القرآن فى كثير من آياته الى أن المعرفة الانسانية تعتمد على الحواس والعقل (٢) ، وهذا يعنى استبعاد كافة المعارف الأخرى التى تعتمد على الخرافات والأوهام أو الكهانة والسحر وما شاكل ذلك .

ونحن اذا تأملنا آيات القرآن فاننا نستطيع أن نستخرج أصول

(١) انظر هموم المثقفين ص ٨٢/٨٣ .

(٢) يقول القرآن الكريم فى هذا الصدد : « والله أخرجكم من

بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » ( النحل : ٧٨ ) .

المعرفة بالحقائق الكبرى وهى : الله والكون والانسان والقيم ، وكذلك اصول تنظيم الحياة العملية وتشكيل الأخلاق ، ونجد فيه أيضا منهجا لتحصيل المعرفة الحسية التجريبية والمعرفة النظرية (١) .

وقد اهتم القرآن أيضا بالتاريخ بوصفه احد مصادر المعرفة الانسانية . فالقرآن يتحدث كثيرا عن الأمم السابقة ، ويدعو الى الاعتبار بتجارب البشر فى ماضيهم وحاضرهم . ويتقدم القرآن فى هذا الصدد اصول منهج متكامل فى التعامل مع التاريخ البشرى ، ينتقل بهذا التعامل من مجرد العرض والتجميع الى محاولة استخلاص القوانين التى تحكم الظواهر الاجتماعية التاريخية (٢) ، تلك القوانين التى يعبر عنها القرآن بسنن الله .

ويهتم القرآن أيضا بالاشارة الى ضرورة التنقيح فى رواية الحقائق . وفى ذلك بقول : « يا ايها الذين آمنوا ان جاعكم فاسق بنبا فتبينوا » (٣) وبذلك وضع امامنا اعم قاعدة من قواعد النقد التاريخى ، وتتمثل فى ان اخلاق الراوى تعد عاملا هاما فى الحكم على روايته ، وقد افاد المسلمون افادة عظيمة من هذه القاعدة وتطبيقها على رواية الأحاديث النبوية . وقد كان تطبيق هذا المنهج النقدى على رواية الأحاديث النبوية هو الذى تطورت عنه بالدرج قواعد النقد التاريخى (٤) .

(١) انظر بحث الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة عن ( مفهوم الوحي ) فى : ( الملتقى الاسلامى المسيحى الثانى ) ص ١٠٤ . من منشورات الجامعة التونسية . ١٩٨٠ .

(٢) انظر التفسير الاسلامى للتاريخ للدكتور عماد الدين خليل ص ٨ — دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٥ .

(٣) الحجرات : ٦ .

(٤) انظر تجديد التفكير الدينى فى الاسلام لاقبال ص ١٦٠ .

وما بعدها .

وقد امد القرآن المؤرخين المسلمين بفكرتين رئيسيتين كان لهما  
اثرهما في توجيههم الى كتابة التاريخ كتابة علمية .

اما الفكرة الاولى فهي فكرة وحدة الاصل الانساني . فانقرآن  
يقرر ان الله قد خلق الناس جميعا من نفس واحدة ، وان من قتل  
نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا ومن احيها فكأنما احيها  
الناس جميعا . ويهدف القرآن من وراء هذه الفكرة ان تكون عاملا  
حيا في الحياة اليومية لكل مسلم ، اما الفكرة الأخرى فتتمثل في  
تصور الوجود حركة مستمرة في الزمان . فالتاريخ حركة جمعية  
مستمرة وتطور حقيقي في الزمان لا يمر منه . وقد كان لهذه  
التوجيهات القرآنية أثرها العظيم في نظرة ابن خلدون الفلاسفية  
للتاريخ . وكتاب ابن خلدون الشهير المسمى بالمقدمة يدين بالجناب  
الأكبر فيه الى ما استوحاه من القرآن (١) . وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ -  
١٤٠٦ م ) - كما هو معروف - يعد أول فيلسوف للتاريخ ورائدا  
عقبيا في مجال الفلسفة الاجتماعية . فقد كان أول من حاول ان  
يربط بين تطور الاجتماع الانساني وبين أسبابه القريبة ، مع  
حسن الادراك لمسائل البحث وتقريرها مؤيدة بالأدلة المقنعة .  
فهو ينظر في احوال الجنس والهواء ووجوه الكسب ونحوها ،  
ويعرضها مع بيان تأثيرها في التكوين الجسمي والعقلي في الفرد وفي  
المجتمع ، وهو يرى ان للمدنية والعمران البشري قوانين ثابتة  
يسير عليها كل منهما في تطوره (٢) .

وهكذا رأينا مدى اسهام الاسلام في تطوير الفكر الفلسفي ودعمه  
وبناء الحضارة الانسانية من خلال الأمثلة التي عرضناها وهي مبدا  
الاجتهاد وفكرة التوفيق والنظرة الاسلامية للتاريخ . ولسنا في

(١) المرجع السابق ص ١٦٠ - ١٦٢ .

(٢) انظر تاريخ الفلسفة في الاسلام لديبور ص ٤١٠ .

حاجة الى التأكيد على ان هذه الأمثلة تمثل فقط بعض الأفكار — وليس كل الأفكار — التى اتى بها الاسلام فى هذا الصدد . ويبقى علينا الآن توضيح الجانب 'آخر من القضية وهو الجانب التاريخى لبيان مدى تأثير الاسلام فى تطور الفكر الانسانى خارج نطاق العالم الاسلامى .

\*\*\*

## ٢ — الجانب التاريخى :

### ( ١ ) التأثير الإسلامى فى فلسفة المصور الوسطى :

ليس هناك من شك فى أن التراث الحضارى الانسانى أخذ وعطاء ، وليست هناك أمة ذات حضارة عريقة الا وقد أعطت كما أخذت من هذا التراث . وليس من المعقول بالنسبة لأمة من الأمم تريد بناء نفسها ان تبدأ من نقطة الصفر وتعيد نفس التجارب التى مرت بها أهم سابقة ، فهذا ضرب من العبث . والفكر لا يعترف بحدود مصطنعة بين الأمم ، بل يخترق الحواجز ويفرغ نفسه رغم كل العقبات .

وإذا كانت هذه المقولة صحيحة ، ونعتقد أنها كذلك ، فانه لمن الغريب حقا ان يحاول بعض العلماء الأوروبيين بيان أثر الفلسفة اليونانية على انفسفة الاسلامى لدرجة وصلت بالبعض الى القول بأن هذه ليست الا انفسفة اليونانية مكتوبة بحروف عربية ، وفى الوقت نفسه يرفض هذا البعض — من منطلق عقدة التنوق — رؤية أى اثر للفكر الاسلامى على الفكر الأوروبى . ونود هنا — بصدد دور الاسلام فى تطور الفكر الفلسفى — ان نلمس موضوع علاقة الفكر الاسلامى بالفكر الأوروبى لمسا خفيفا ، اذ أننا لن نستطيع فى هذا البحث الموجز ان نغطى كل نقاط هذا الموضوع ونستوفى جميع جوانبه . وهذه العلاقة جديرة حقا بالبحث ، فلم يكن المسلمون

مجرد وسيلة آلية نقلت الى أوروبا فلسفة اليونان . فهذا منطوق  
غير علمي وافتئات على الحقيقة .

لقد كان العلماء المسيحيون في أوروبا يعملون جاهدين منذ عام  
١١٣٠ على ترجمة الفلسفة العربية الى اللاتينية (١) . وقد التقى  
العالم المسيحي في أوروبا بالعالم الاسلامي في نقطتين : في ايطاليا  
الجنوبية واسبانيا . وكانت توجد في اسبانيا حركة ترجمة نشيطة .  
فقد كان يوجد في مدينة طليطلة عندما فتحها المسيحيون مكتبة عربية  
حافلة في احد المساجد . وكانت هذه المكتبة ذات شهرة عظيمة (٢) .  
ويرتبط لانتقال المادة الفلسفية العربية الى اللاتينية بصفة خاصة  
بـ ( ريموند Raymund ) الذي كان رئيس اساقفة طليطلة من عام  
١١٣٤ حتى عام ١١٥٠ وبعد ذلك رئيسا لاساقفة اسبانيا . فقد  
أسس مجمعا للمترجمين عهد رئاسته الى ( دومينيك جونديسالفي  
Dominic Gondisalvi ) وأسند اليه مهمة اعداد ترجمات لاتينية لأهم  
الكتب العربية في الفلسفة والعلوم . وكانت هذه الترجمات التي  
وصلت الى ايدي الغرب اساس انفسفة المدرسية في أوروبا (٣) .

وفي عام ١٢٢٠ أصبح فريديريك الثاني امبراطورا . وكان على  
اتصال وثيق بالمسلمين واعجاب كبير بهم ، فاختد للباس الشرقي  
وكثرا من العادات والتقاليد العربية . ولكن الأهم من هذا كان  
اعجابه الشديد بالفلاسفة العرب الذين كان بإمكانه قراءة كتبهم  
الأصلية باللغة العربية التي كان يجيدها . وكانت علوم العرب

Das Fischer Lexikon : Philosophie, p. 139, (١)  
Frankfurt/M. 1963.

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام ٤١٧ .

(٣) راجع كتاب دي لاسي أولمري : الفكر العربي ومركزه في

التاريخ ص ٢٣٣ — ٢٣٥ . ترجمة اسماعيل البيطار بيروت ١٩٧٢ .

تدرس بشغف في قصر فريدرك الثاني في بارمو (Palermo) وبذلك جعلت في متناول اللاتينيين . وقد أهدى الإمبراطور وابنه ( مانفرد ) الى جامعات بولونيا وباريس ترجمات لكتب فلسفية مترجمة عن العربية . وفي عام ١٢٢٤ أسس الإمبراطور جامعة نابولي وجعل منها أكاديمية لادخال العلوم العربية الى لعالم الغربي (١) .

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد هو أن الاديبي توماس الأكويني (Thomas of Aquin) قد تلقى علومه قبل دخوله سلك الرهبنة في هذه الجامعة . ولعل هذا كان السبب الذي حدا به الى الاهتمام بعالم الفلاسفة العرب لى احد الذي حملته على تدبرها بقدرا دقيقا جدا (٢) . وقد كان لكل من ابن سينا وابن رشد بصفة خاصة حجة عظيمة في لعصور الوسطى في أوروبا . وأصبح هناك نيار يعرف بالانانية (Avicennism) ونيار آخر يعرف بالارسطدية (Averroism)

وقد كانت الفلسفة المدرسية المسيحية ممثلة في ( ألبرت الكبير (Albertus Nagnus) وتوماس منفقة في بعض آرائها مع ابن سينا ، وبوجه خاص في نظرية المعرفة ، كما اخذ ألبرت وتوماس بما رآه ابن سينا في مسألة الكليات (universalia) وفي هذه النقطة كثيرا ما اقتبس توماس وألبرت من ابن سينا بوصفه صاحب حجة ، كما اخذ توماس بما رآه ابن سينا من الفصل الحاد بين

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٧ - ٢٣٨ . وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٤١٧ .

(٢) الفكر العربي ومركزه في التاريخ ص ٢٤٣ .

(٣) J. Hirschberger, Kleine Philosophiegeschichte, p. 76, Freiburg 1961.

الماهية والوجود (١) . ونجد أيضا تاغير ابن سينا حيا وقويا في تعريف البرت للنفس وفي نظريته في النبوة . وقد اتخذ دانس سكوت (Duns Scotus) من فلسفة ابن سينا الى حد ما أساسا بنى عليه أقواله في ما وراء الطبيعة . وقد نبه بعض الباحثين الى وجود سوابق لدى ابن سينا للكوجيتو (Cogito) الديكارتي (٢) .

ويثبت كارا دي فو (Carra de Vaux) وجود سينائية لاتينية في أوروبا في القرون الوسطى تتركز الناحية البارزة منها على المنحدر العربي أكثر مما تتركز على العنصر الأوغسطيني (Augustinism) أو أي تلوين آخر من التفكير المسيحي في القرون الوسطى (٣) .

وقد كان روجر بيكون (Roger Bacon) من المعجبين بابن سينا وكان لا يخفى هذا الإعجاب (٤) . فمد قدر لهذا الانجاء الآني من ابن سينا أن ينتشر ويزدهر الى أقصى حد في فكر روجر بيكون الذي تأثر بابن سينا والفارابي الى درجة أن نظريته عن قداسة البابا تتفق تمام الاتفاق مع النظريات التي قال بها ابن سينا عن الخلافة (٥) .

وكان لآراء الفارابي أثرها لدى « ألبرت الكبير » من نواح

---

(١) Ernst Bloch, *Avicenna und die Aristotelische Linke*, p. 46, 51. Sunrkamp Verlag 1963.

(٢) انظر : تراث الاسلام لشاخت وبوزورث ترجمة د. حسين مؤنس واحسان العميد . القسم الثاني ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ : سلسلة عالم المعرفة بالكويت . نوفمبر ١٩٧٨ .

(٣) سلفادور غومث نوغالس : الفلسفة الاسلامية وتأثيرها الحاسم في فكر الغرب . ص ٤٦ . ترجمة عثمان الكعاك . اصدار التونسية للنشر ١٩٧٧ .

(٤) المرجع السابق ص ٥٣ . (٥) تراث الاسلام ص ٢٦٦

مختلفة (١) . وقد كان لكتاب احصاء العلوم للفارابى اثره العظيم لدى المؤلفين فى القرون الوسطى فى أوروبا . وقد اعطى الفارابى فى هذا الكتاب فكرة عامة واضحة عن موضوع كل علم من العلوم المشهورة فى زمانه وبين فائده لنظرية والعلامة . وقد اقتبس العالم الاسبانى جنديساباليوس (Gundissalinus) فى القرن الثانى عشر معظم هذا الكتاب وضمنه كتابه المعروف بتقسيم الفلسفة . كما افاد روجر بيكون من كتاب الفارابى كثيرا . واناذ منه ايضا كثيرا جدا — وخاصة فيما يتعلق بالكلام على الموسيقى جبروم دى مورافيا (Jérôme de Moravie) فى القرن الثالث عشر (٢) .

لما عن ابن رشد فانه كان يمثل منطلقا لتطور جديد فى العالم الغربى ، كما ان المذهب التومئى لم يكن يمكن تصورده بدون ابن رشد (٣) . وبحلول منتصف القرن الثالث عشر كانت جميع مؤلفات ابن رشد انفسية تقريبا قد ترجمت الى اللاتينية (٤) . وقد اثبت رينان وجود رشدية لاتينية فى أوروبا فى كتابه عن ابن رشد والرشدية . وقد عاشت الرشدية فى أوروبا عدة قرون واسهمت اسهاما عظيما فى قضية الحرية الفكرية فى القرون الوسطى فى أوروبا (٥) .

وقد كان اول دليل على اذبيوع لأفكار ابن رشد يرتبط بوليم

(١) د. ابراهيم مذكور : فى الفلسفة الاسلامية ج ١ ص ١١٤ / ١١٥ . دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٦ .

(٢) انظر احصاء العلوم للفارابى تحقيق وتقديم د. عثمان امين ص ٢٣ وما بعدها . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨ .

(٣) Fischer Lexikon, p. 139,

(٤) الفكر العربى ومركزه فى التاريخ ص ٢٣٩ .

(٥) Hirschberger, p. 92.

الأفرنى « (William of Auvergne) الذي كان مطرانا لباريس .  
فقد أشاد بابن رشد باعتباره مدافعا حقيقيا عن الحقيقة ، وكان  
يقتبس منه كثيرا ، معتبرا إياه المعلم الأكثر صوابا (١) .

وقد تابع القديس ترماس ابن رشد في شرحه للعلاقة بين  
الوحي والمعرفة الفلسفية . وقد بين أسس بلاثيوس  
(Asin Palacios) في بحث له على أساس مقارنة النصوص التي  
عند ابن رشد وتوماس أن الاتفاق بينهما لم يقتصر على وجهة النظر  
الاجمالية والأفكار والأمثلة بل كان في الألفاظ أحيانا — وبين  
بلاثيوس أن ذلك ليس اتفاقا عارضا ولا مبنيا على رجوع كل منهما  
إلى أصل مشترك . وإنما يرجع إلى أن القديس توماس عرف  
آراء ابن رشد وانفجع بها (٢) .

وقد استمر أثر الرشدية في أوروبا حتى القرن السابع عشر .  
وقد بشر هذا الأثر بالمذهب العقلي الذي ساد في عصر النهضة  
الأوروبية (٣) .

أما حجة الإسلام الغزالي فقد كان له تأثير بصورة مباشرة  
وأحيانا بصورة غير مباشرة على عالم الفكر الأوروبي وحتى على  
عالم الفكر الحديث كما سنوضح ذلك بعد قليل . وقد امتد تأثير  
الغزالي عن طريق رايموند مارتين (Raimund Martin) إلى توماس  
الأكويني أولا وفيما بعد على باسكال (٤) وفي كتاب ( الطعنة النجلاء

(١) الفكر العربي ومركزه في التاريخ من ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٢) نظر تراث الإسلام ٢/٢٦٢ ( هامش للمترجمين ) .

(٣) المرجع السابق من ٢٧٣ ، والفكر العربي ومركزه في

التاريخ من ٥٤٦ .

(٤) Handwoerterbuch des Islam, p. 142, Leiden 1976.

ضد المغاربة واليهود ) الذى ألفه راييموند مارتين كانت حججه مأخوذة  
فى معظمها من كتاب تهافت الفلاسفة للغزالى .

كما ان الاعتراضات التى أوردها القديس توماس على مذهب  
وحدة العقول وغيره هى نفس الاعتراضات التى كان قد أوردها  
علماء الكلام المسلمين من أهل السنة تقريبا . وجاءت الى توماس  
عن طريق الغزالى (١) .

ومما تقدم يتضح لنا بجلاء مدى تثير الفلسفة الاسلامية فى  
الفكر الأوروبى . وقد اعتمدنا فى عرضنا لهذه النقطة بالذات بصفة  
أساسية على مؤلفين أوروبيين .

ونود فى هذا الصدد أن نشير أيضا الى ما ذكره بهذا الخصوص  
عالم أسباني معاصر ذكر فى أبحاثه على علاقة الفلسفة الاسلامية  
بالفلسفة الأوروبية فى القرون الوسطى وهو سلفادور جومث  
نوجالس (S. Gomez Nogales) حيث يقول : أنا مقتنع كل  
الاقتناع بأن هناك تأثيرا مباشرا للفلسفة الاسلامية فى أوروبا فى  
القرون الوسطى . بل أقول أكثر من ذلك انه لولا هذا التأثير الذى  
كان للفلسفة الاسلامية على المسيحية ربما ما كانت افلسفة المسيحية  
تقدر على اجتياز تلك الخطوة العملاقة التى نقدرها عند عباقرة  
الفلسفة المدرسية أمثال القديس توماس ، أو على الأقل لم تكن لتخطو  
تلك الخطوة العملاقة بنفس السرعة التى تظلمنا . ويقول نوجالس  
أيضا . ان الاستنتاج الذى توصل اليه بن دراساته المقارنة بين  
الفلسفة الاسلامية والفلسفة المسيحية فى القرون الوسطى هو وجود  
نيارات فى التفكير الأوروبى الوسيط تلتقى مع الفلسفة العربية  
المعاصرة لها فى نقط مجسدة غاية التجسّد ، وهناك قضايا محررة

---

(١) الفكر العربى ومركزه فى التاريخ ص ٢٤٢ ، ٢٤٤ .

ونقط مذهبية محددة بالذات كل التحديد في التفكير المسيحي في القرون الوسطى اذا تتبعناها في خط سيرها نجد انها تصل بنا الى المؤنفين العرب .

وينتهى نوجالس الى القول الذى يصوغه بصيغة التأكيد القاطع : ان الفلسفة الاسلامية قد اثرت تأثيرا حاسما في تفكير الغرب في القرون الوسطى (١) .

ونظرا لأن دراسات نوجالس مقتصرة على القرون الوسطى فانه لم يتعرض بطبيعة الحال الى امتداد التأثير الاسلامى الى العصر الحديث . وهذا الموضوع لم يحظ حتى الآن الا بالقليل جدا من اهتمام الباحثين .

\*\*\*

### ( ب ) التأثير الاسلامى في فلسفة العصر الحديث :

لقد اضح لنا مما تقدم ان الفلسفة الاسلامية كان لها تأثيرها العظيم في الفلسفة الأوروبية في القرون الوسطى ، واذا كانت هذه الفلسفة قد اثرت بدورها في الفلسفة الأوروبية الحديثة فاننا نستطيع ان نقول بوجود تأثير غير مباشر للفلسفة الاسلامية على الفلسفة الحديثة . ولكن هذا لا يعنى عدم وجود تأثير مباشر أيضا . ونريد هنا ان نشير الى بعض جوانب هذا التأثير ، ونأمل ان يجد هذا الموضوع حقه من الاهتمام من جانب الباحثين المعنيين . وأول جوانب انتاثير في العصر الحديث تتمثل في تأثير الغزالي على ديكرت .

وقد اعتمد الغزالي الشك المنهجي سبيلا للوصول الى اليقين

---

(١) الفلسفة الاسلامية وتأثيرها الحاسم في فكر الغرب

الفلسفى . ورسم الغزالى خطوات هذا المنهج بالتفصيل بصفة أساسية فى كتابه « المنقذ من الضلال » فرفض التقليد والتبعيه الفكرية رفضا قاطعا واكد على ضرورة الاستقلال العقلى فى البحث عن الحقيقة . وقام بنقد المعارف الانسانية والشك فيها ابتداء من المعارف الحسية الى المعارف العقلية . وناقش مسألة اليقين وقضية العقيدة ومشكلة التفرقة بين المعارف التى يحصل عليها المرء فى اليقظة ومثلثتها فى المنام . وأخيرا مشكلة الشك الميتافيزيقى المتمثلة فى تصور شيطان مخادع و كائن مضلل حتى توصل فى 'النهاية' الى اليقين الفلسفى الذى لا يتزعزع والذى عبر عنه بعودة الثقة فى الضروريات العقلية . وتوصل بطريقة عقلية — لا صوفية كما يزعم البعض — الى معرفة الذات ومعرفة الله مما لا يسمح المجال الآن بعرض تفصيلاته .

وقد كان للشك المنهجى الذى وضع الغزالى جميع خطواته اثره البالغ فيما عرفه الفكر الفلسفى بعد ذلك لدى ديكارت الذى يعدد المؤرخون ابا للفلسفة الحديثة كلها . فالخطوات التى سار عليها الغزالى فى شك المنهجى هى نفس الخطوات التى سار عليها ديكارت بعده بأكثر من خمسة قرون واعتبر المنهج الديكارتى — فتحا جديدا فى عالم الفلسفة .

وقد قمت بعقد مقارنة تفصيلية بين الغزالى وديكارت فى دراسة نشرت باللغتين العربية والألمانية (١) . ويتضح من هذه الدراسة

---

(١) انظر كتابنا المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت . مكتبة الأنجلو المصرية . ( الطبعة الثانية ١٩٨١ ) . وانظر بحثنا المنشور فى مجلة عالم الفكر بالكويت بعنوان ( الشك المنهجى عند الغزالى وديكارت ) اكتوبر — ديسمبر ١٩٧٣ . وانظر أيضا بحثنا باللغة الألمانية :

**Al Ghazalis Grundlegung der Philosophie, Diss. Muen-  
chen 1968.**

التطابق الذي يكاد يكون تاما بين فكر الغزالي وفكر ديكارث . وقد اكتفيت في هذه الدراسة بالمقارنة من وجهة النظر الفلسفية ، ولم أتعرض للجانب التاريخي الذي يعنى بالبحث في صلة ديكارث بالغزالي . وقد أكد أحد الباحثين في عام ١٩٧٦ تأكيدا قاطعا اطلاعه على دليل مادي في مكتبة ديكارث يثبت تعرف ديكارث على فكر الغزالي وبأثره به عن طريق ترجمة لكتاب « المنقذ من الضلال » للغزالي . وقد ضمن هذا الباحث وهو المؤرخ التونسي المرحوم عثمان الكماك هذه الأقوال في بحثه الذي قدمه الى ملتقى الفكر الاسلامي في الجزائر عام ١٩٧٦ (١) .

ويمكن الاشارة الى جوانب أخرى لدى الغزالي لها صدى في فكر فلاسفة آخرين غير ديكارث من أمطاب الفلسفة الحديثة . ومن ذلك نقد الغزالي المسهب لمبدأ السببية ورد العلاقة بين السبب والمسبب الى العادة واعتبارها مجرد علاقة زمانية بين شيئين - هذا النقد وجدناه بعينه لدى ( دافيد هيوم David Hume ) ، بل ان هيوم لم يأت بجديد في هذا الصدد ، وهذا ما لاحظته رينان حين قال : ان هيوم لم يقل في نقد مبدأ السببية أكثر مما قاله الغزالي (٢) .

ويمكن عقد مقارنات أخرى كثيرة مثمرة بين فلاسفة اسلاميين آخرين وفلاسفة أوروبيين في العصر الحديث . فقد تأثر « اسبينوزا » مثلا بالأفكار الاسلامية اما بطريق مباشر أو عن طريق ابن ميمون ( ١١٣٥ - ١٢٠٤ م ) ، وهذا بدوره كان متأثرا

- 
- (١) انظر تفصيل ذلك في مقدمة الطبعة الثانية من كتابنا : المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارث .  
(٢) أرنست رينان : ابن رشد والرشدية . ترجمة عادل زعيتر ص ١١٢ . . طبع عيسى الحلبي بالقاهرة ١٩٦٧ .

الى حد بعيد بالفلسفة الاسلامية كما يتضح تمام الـروضـوح من كتابه « دلالة الحائرين » (١) . واخوان الصفا ، تلك الجماعة التي تكونت في البصرة في القرن العاشر الميلادي واخرجت للناس موسوعة ضخمة تناول كل فرع من فروع المعرفة الانسانية كانوا روادا لفلسفة عصر التنوير في فرنسا في القرن الثامن عشر وما اخرجوه للناس من موسوعات ، وأنكار ابن خلدون في فلسفة التاريخ والفلسفة الاجتماعية اثمرت ثمارها في أوروبا .

ونكتفى الآن بهذه الأمثلة .

\*\*\*

---

(١) في الفلسفة الاسلامية للنكتور مذكور ج ١ ص ١١٧ .

## • كلمة ختامية :

بعد ان بينا مكانة العقل في الاسلام ودور الاسلام في تطور الفكر الفلسفى نود في ختام هذا البحث ان نؤكد على الملاحظتين التاليتين .

١ - عندما يراد الحديث عن الاسلام فانه يجب التفريق بوضوح بين امرين اولهما : الاسلام كدين وكنعاليم اثبتت وجودها وفعاليتها وتأثيرها على مر القرون ، وثانيهما الوضع الحضارى الراهن للمسلمين فى عالم اليوم .

فمبادئ الاسلام فى تطوير الفكر وحمايته لا تزال قائمة ومؤهلة للقيام بنفس الدور الذى قامت به فى السابق وذلك لأن الاسلام ليس ديناً جامداً ، ولكنه دين للحياة بشمولها ، يدعو الى التغيير والتطور المستمر للحياة ، ولكنه فى الوقت نفسه يقرر ان المبادئ مهما كانت سامية فانه لا يمكن ان تحقق نفسها الا عن طريق ارادة بشرية تعمل على تحقيقها . وهذا قانون قرأنى يقول « ان الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » (١) .

٢ - لم يعد هناك ليوم مجال لاستمرار الجدل العقيم بين الحضارات . فالأخطار التى تهدد البشرية ليوم ليست أخطارا تحيط بحضاره معينه وانما هى أخطار تحيط بالانسانية كلها . ولذلك يجب ان تعمل الحضارات المختلفة جاهدة على زيادة التفاهم فيما بينها . ونعتقد انه قد آن الأوان لأن ينظر العلماء الأوروبيون الى الاسلام وحضارته نظرة موضوعية وعادلة ، دون التأثير بعقد قديمة أو جديدة . وبهذه الطريقة وحدها يمكن اجراء حوار حضارى مثمر بين الحضارتين الاسلاميه والاوروبية . والله الموفق . . وهو المستعان .

\*\*\*

## محتويات الكتاب

- أولاً : موقف الاسلام من العقل . . . . . ٣
- ١ — تمهيد . . . . . ٣
- ٢ — الانسان في نظر لاسلام . . . . . ٤
- ٣ — العقل ووظيفته . . . . . ٦
- ٤ — تمهيد الطريق أمام العقل . . . . . ٨
- ثانياً : دور الاسلام في تطور الفكر الفلسفي . . . . . ١١
- ١ — الجانب الفكري . . . . . ١١
- ( أ ) نظرة عامة . . . . . ١١
- ( ب ) مبدأ الاجتهاد . . . . . ١٦
- ( ج ) فكرة التوفيق أو الوسطية . . . . . ١٨
- ( د ) نظرة الاسلام الى التاريخ . . . . . ٢٥
- ٢ — الجانب التاريخي . . . . . ٢٨
- ( أ ) التأثير الاسلامي في فلسفة العصور الوسطى . . . . . ٢٨
- ( ب ) التأثير الاسلامي في فلسفة العصر الحديث . . . . . ٣٥
- كلمة ختامية . . . . . ٣٩
- محتويات الكتاب . . . . . ٤٠

رقم الابداع ٨٤/٢٩٣٨

الترقيم الدولي ٣ — ٠٢٩ — ٣٠٧ — ٩٧٧